

بنية السرد في روايات السيد حافظ رواية "قهوة سادة" أنموذجاً

أ.م.د. سري سليم عبد الشهيد المعمار

bus.sura.saleem@uobabylon.edu.iq

جامعة بابل/ كلية الادارة والاقتصاد

الملخص

تهدف هذه الدراسة والموسومة بـ (بنية السرد في روايات السيد حافظ، رواية "قهوة سادة" نموذجاً). إلى الوقوف على مظاهر وتقنيات السرد الحديثة في الرواية المذكورة. لا سيما وأن الرواية عميقة في أحداثها وتقنياتها الفنية المختلفة. ولقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. تناولت المقدمة طريقة عرض الدراسة وتقسيمها. أما التمهيد فتضمن محورين تناول المحور الأول: التعريف بالكاتب السيد حافظ وأعماله الفنية، في حين وقف المحور الثاني عند التعريف برواية "قهوة سادة" وبتفاصيلها قبل دراستها فنياً.

تناول المبحث الأول: البنية وأنواعها، السرد، مكونات السرد، أنماط السرد، البنية السردية، أما المبحث الثاني من الدراسة فهو خاص بالجانب التحليلي إذ تناول بنية الشخصية والزمان والمكان حيث تعرضنا فيه إلى (مفهوم الشخصية وأنواعها من شخصيات رئيسة وثانوية، ومفهوم الزمان وأهم المفارقات الزمنية من استرجاع واستباق، ومفهوم المكان والتشكيلات المكانية من أمكنة مغلقة ومفتوحة وارتباطهما الوثيق بالعمل السردية).

أخيراً جاءت الخاتمة لتكشف عن أهم نتائج الدراسة وأبرز التساؤلات التي أثيرت من خلال عرض هذا العمل الروائي.

الكلمات المفتاحية: رواية، السرد، بنية، قهوة سادة، سهر، مكان، زمان، الشخصية.

Narrative Structure in the Novels of Al-Sayed Hafez

"Black Coffee" Novel

Asst. Prof. Dr. Sura sleem Abdul shaheed Al meamar

University of Babylon \ College of Administration and Economics

Abstract

This study, which is tagged with (the structure of the narrative in the novels of Mr. Hafez, the novel "Plain Coffee" as a model). To stand on the manifestations and techniques of modern narration in the deep in its various aforementioned novel. Especially since the novel is events and artistic techniques. The study was divided into an

introduction, a preface, two sections and a conclusion. The introduction dealt with the presentation and division of the study. As for the the first axis dealt with: introducing the ,introduction, it fell into two axes writer Mr. Hafez and his artistic works, while the second axis stopped at introducing the novel "Plain Coffee" and its details before studying it .artistically

omponents of narration, The first topic: structure and types, narrative, co .narrative patterns, narrative structure

The second section of the study, which deals with the analytical aspect, dealt with the structure of personality, time and place, in which we were s types of main and exposed to (the concept of personality and it secondary characters, the concept of time and the most important time paradoxes of retrieval and anticipation, and the concept of place and spatial formations from closed and open places and their close link to .the narrative work

conclusion came to reveal the most important results of the study The and the most prominent questions raised through the presentation of .this work of fiction

Keywords: Nove, narration, structure , plain coffee , vigilance , place, time ,character.

المقدمة:

تعد الرواية من أهم أنواع الأدب النثري وأكثرها انتشارا وشعبية في الساحة الأدبية نظرا لما تحتويه من مكونات فنية وجمالية على مستوى الشكل والمضمون، مما جعلها موضع اهتمام النقاد والباحثين كما إنه مجال خصب للدراسة فغدت الوسيلة الأنجح للتعبير عما يختلج في نفس الكاتب من أحاسيس ومشاعر وما يشغله من أفكار وأيديولوجيات فكانت بمنزلة سجل يحمل في طياته تطلعات الإنسان وأحلامه وفق أسلوب فني شيق يستهوي القارئ ولغة تمتلك القدرة على تصوير العالم الروائي بأحداثه وشخصياته وزمانه ومكانه.ولعل هذا ما جعلنا نختار هذه الدراسة الموسومة بـ البنية السردية في رواية "قهوة سادة" للسيد حافظ الذي نقل لنا من خلال رواية "قهوة سادة" مرارة واقعا المتأزم من خلال إسقاطات الماضي على الحاضر وتدور في فلك الأحداث كأنها تحمل قنديلا للدلالة على مكان من الخلل الإنساني لأي مجتمع من المجتمعات فعلاقات

الحب او العشق لا تحمل دائما دلالة سلام للنفس أو المشاعر فقد تكون نابغة من حالات الهروب من ذلك الواقع، وذلك كله عبر إطار سردي له سماته المميزة دون سواه من تشظ وتداخل الأجناس.

أهمية الدراسة:

نالَت رواية "قهوة سادة" شهرة واسعة في العالم العربي، وعدت من أفضل الروايات العربية، واحتلت المرتبة الثانية والسبعين في قائمة أفضل مائة رواية عربية، ولذلك فإن البحث في كيفية بنيتها السردية أصبح ضروريا ومهما.

أهداف الدراسة:

- ١- دراسة البنية السردية في رواية "قهوة سادة".
- ٢- الوقوف على العوامل التي أثرت في بنية السرد الروائي في رواية "قهوة سادة".

إشكالية الدراسة:

سعت هذه الدراسة إلى الإجابة عن سؤالين محوريين شغل أذهاننا إلا وهو:

- ١- كيف وظف الروائي المكونات السردية لخدمة عمله السردية؟ وإلى أي مدى وفق الكاتب في هذا التوظيف؟.

- ٢- وما سمات بنية السرد لرواية "قهوة سادة" للمؤلف السيد حافظ؟ ويتفرع من هذا السؤالين عدة أسئلة أخرى هي:

- أ- ما خصائص بنية السرد في رواية "قهوة سادة"؟
- ب- ما التقنيات السردية التي استخدمها السيد حافظ في بنية السرد لروايته " قهوة سادة"؟

أسباب اختيار الموضوع :

- ١- حب التطلع والميل والرغبة لدراسة هذا الشكل الأدبي.
- ٢- معرفة تطور الرواية العربية الحديثة وكذلك بدافع معرفة مكونات هذا النص السردية من حيث الشخصية والزمان والمكان.

منهج الدراسة:

أما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي لأنه يتناسب والموضوع من حيث المنهج الوصفي في الجانب النظري كما اعتمدنا على المنهج التحليلي في الجانب يتمثل التطبيقي.

خطة الدراسة:

وعليه فلقد قسمنا الدراسة إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، أما التمهيد فجاء في محورين تناول المحور الأول: التعريف بالكاتب السيد حافظ وأعماله الفنية، في حين وقف المحور الثاني عند التعريف برواية "قهوة سادة" وبتفاصيلها قبل دراستها فنياً.

تناول المبحث الأول : البنية وأنواعها، السرد، مكونات السرد، أنماط السرد، البنية السردية، أما المبحث الثاني المعنون بـ: بنية الشخصية والزمان والمكان فلقد تعرضنا فيه إلى (مفهوم الشخصية وأنواعها من شخصيات رئيسة وثنائية، ومفهوم الزمان وأهم المفارقات الزمنية من استرجاع واستباق، ومفهوم المكان والتشكيلات المكانية من أمكنة مغلقة مفتوحة، وأخيراً الخاتمة وأوردنا فيها أهم النقاط والنتائج التي خلصنا إليها من خلال الدراسة.

الدراسات السابقة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

١. الموتيف في رواية قهوة سادة، دينا نبيل عبدالرحمن إبراهيم، حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، مجلة أدب ونقد، مصر، ع ٣٥٤، ٢٠١٦ م.
٢. شعرية اللغة وجماليات السرد في رواية نسكافيه، ليلي، ابن عائشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الرواية - قضايا وآفاق، مصر، ع ٩، ٢٠١٢ م.
٣. قراءة نقدية في بنية النص الروائي: رواية "كابيتشينو" للسيد حافظ، رشا أبو بكر سعد، غانم، رابطة الأدباء الكويتيين، مجلة البيان، الكويت، ع ٥٢٩، ٢٠١٤ م.

التمهيد:

تخرج السيد حافظ من قسم الفلسفة وعلم الاجتماع بجامعة الإسكندرية عام ١٩٧٦ بكلية التربية. عمل في مجلة صوت الخليج في الكويت عام ١٩٧٦ وهو مسؤول عن دائرة الثقافة. عمل متخصصاً مسرحياً في الثقافة الجماهيرية بالإسكندرية من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٧٦، وعمل في المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب من عام ١٩٧٨. حتى عام ١٩٨٦. السيد حافظ كاتب ومبدع عظيم و متميز، ينتمي إلى جيل السبعينات ، أصدر أكثر من مائة عمل إبداعي، تتنوع بين المسرح والرواية وأدب الطفل. أصدر أكثر من سبعين كتاباً في المسرح والقصة القصيرة والرواية، عن دوره. صدرت له العديد من الإصدارات المصرية والعربية، وكتب أكثر من ثلاثين رسالة جامعية ما بين الدبلوم والماجستير والدكتوراه، في المغرب والكويت، مصر والجزائر. حصل على جائزة أفضل مؤلف لعمل مسرحي. أهم أعماله الروائية:

رواية نسكافيه عام ٢٠١٠، رواية قهوة سادة عام ٢٠١١، رواية كابيتشينو عام ٢٠١٢، رواية شاي بالياسمين عام ٢٠١٣، رواية شاي اخضر عام ٢٠١٤. أهم أعماله المسرحية:

كبرياء التفاهة في بلاد اللامعنى عام ١٩٧٠، الطبول الخرساء في الأدوية الزرقاء عام ١٩٧١، سيمفونية الحب (مجموعة قصصية) عام ١٩٨٠، حبيبتى أنا مسافر (مسرحية) عام ١٩٧٩، سندس عام ١٩٨٧، على بابا عام ١٩٨٧، عنتر بن شداد عام ١٩٨٧.

فرسان بنى هلال عام ١٩٨٧.

ملخص الرواية:

"قهوة سادة" هي رواية عربية للكاتب المصري المعاصر السيد حافظ، وهي عمل إبداعي يتمتع بفرادة وتميز، تنقسم الرواية إلى ثلاثة برامج روائية، وكل برنامج يحتوي على ثراء زمني ملحوظ، ويجب على الناقد الحكيم أن يقوم بتقنيات نقدية عميقة ومبتكرة للغاية جداً من أجل الكشف عنها. وذلك لأنَّ الروائي قصد تكثيف الرمزية بخصب كبير، من خلال توظيف الأسطورة، والتاريخ الحديث والقديم، مستويات العمق نفسها.

رواية «قهوة سادة» أسلوب جديد في فن الرواية العربية التي بدأت تصنع أساليبها المتنوعة البعيدة عن تقليد الغرب و«التقليدية» السائدة لهذا الفن السردى في عالمنا العربي منذ ما يقارن النصف قرن.

رواية "قهوة السادة"، نقرأ قصة سهر والعشق والقمر، "عنوان رومانسي لمشاهد واقعية مكتوبة بعناية ودقة يمتزج فيها النضج الأنثوي لسحر بالحقائق المؤلمة"، مثل استقالة الزعيم عبد الناصر، حيث نتعرف على واقع سهر وعائلتها، ثم على كاظم مدرس اللغة العربية في مدرستها، "ليكتشف أنه.. يحبها بصمت.. مثل العديد من الأحداث التي تدور في بطريقة عفوية وصادقة. تشعر أن الراوي هنا هو "راوي عصره" ينقلك كقارئ من مشهد إلى آخر بكل سهولة ويسر... ولكنها ليست السهولة الممكنة بقدر ما هي تكييف للرواية اللغة والمحتوى والمشهد بكل تفاصيله..

قسم الكاتب الرواية إلى قسمين رئيسيين، وهي:

أ- الجزء الأول: قهوة سادة. ب- الجزء الثاني: قهوة زيادة.

ثم قسم كل جزء إلى عدة فصول، اختار عناوانها بعناية ودقة.

ومن هنا العتبة الأولى للنص:

خمسة وعشرون فصلاً متتابعة. ورغم أن الكاتب قسم الرواية إلى قسمين رئيسيين، إلا أنه اختار تسلسل الفصول ومزج عناوانها بين الحاضر والماضي. بدأ بعنوان "عشق لا يعرف الانتهاء" وضم تحته بدايات القصة من الشام بقصة السهر، وكلام شهرزاد لها أن الجمال قد يكون سر البلاء، كاظم وأهله ضاع أحلام الوطن، وأن حبه له هو سر بلائه.

ويأتي الفصل الثاني ليحكى عن فتحي رضوان تحت عنوان "ليت لي ألف عين". وتتوالى العناوانات التي تكشف تارة أسرار الرواية ومعاناة أبطالها، وتكشف تارة أخرى عما خفي من روح كاتبها ومعاناته الشخصية من أهل الأدب والفكر وتجاهلهم أو مهاجمتهم لإبداعاته، كما هو عنوان الفصل الثالث "الكتابة الجميلة جريمة وغريبة"، الفصل السابع "هذا وطن الأحزان"،

الفصل الحادي عشر "كنا نحلم بوطن أجمل"، "وطن بلا أجنحة"، وتتوالى العنوانات المليئة بالحزن والشعور بالغبرة في حضان الوطن .

نعود إلى أحداث الرواية، إذ تبدأ بحديثين منفصلين في بلدين بعيدين في المكان لكن متشابهين في الأيديولوجيات والرؤى. وفي سوريا البطلة سهر سالم، وفي مصر البطل فتحي رضوان خليل الذي وصفه الكاتب حبيب سهر مستقبلاً.

يبدأ الفصل الأول برحلة سهر من الطفولة إلى البلوغ، لتبدأ رحلتها في الحياة بنظرة جديدة والعديد من الطموحات والأحلام خارج حدود الوطن. لم تعد الأوطان تحمل لنا ما نتمنى، ولم تعد حدودها تتسع لتطير طيور أحلامنا.

وهنا يدخل البطل الرجل السوري «البروفيسور كاظم»، أو كما ستفاجئنا الأحداث التالية، النسخة السورية لفتحي رضوان، وهو يقارن أوطاننا التي ضاقت بها أحلامنا، وإسرائيل، «أرض الميعاد» التي دعت أبنائها المنتشرين في بقاع الأرض للعودة لتحقيق أحلامهم ومنحهم وطناً وحنناً وملجأً، وفي الوقت نفسه في مصر، كان فتحي رضوان يعيش آلام الهزيمة بعد نكسة ١٩٦٧، مثل الكثير من الشباب في تلك الفترة، الذين تحطمت أحلامهم، وانهار المستقبل في أعينهم، وفقدوا الإحساس بالوطن.

ثم تتوالى قصة فتحي رضوان وارتباطه بالخيبة والهزيمة، دون أدنى خطأ منه، فهو من مواليد ١٩٤٨ «في يوم استشهاد البطل أحمد عبد العزيز نفسه».

هنا يبدأ الكاتب بسرد أحداث استشهاد البطل أحمد عبد العزيز، ثم ينتقل إلى أحداث هزيمة ١٩٦٧ مرة أخرى... سلسلة من الهزائم، فكيف لقلب وروح صبي أن يتلمس الطريق؟

الفصل الأول

البنية وأنواعها، السرد، مكونات السرد، أنماط السرد، البنية السردية.

مفهوم البنية والسرد:

كانت هذه الدراسة تتناول البنية السردية في رواية دعاء الكروان"، فإنه صار لزاماً علينا أن نحدد المقصود بمصطلحي العنوان، وهما: البنية، والسرد. أولاً - البنية: (structure) أ- لغة:

ورد في لسان العرب لأبن منثور :

"ويقال بنية، وهو كالرشوة والرشوة، وكأن البناء هو الشكل الذي بني عليه، كالمشي والركوع. وبني فلان بيتاً بناءً وبنيه مقيداً مؤكداً على كثرة العدد. وبني داراً وبنياً، يعني: والبنيان: الجدار. الجوهري: والبنيات مع الضمة محدودة كالبنيان. ويقال ببنية. وبنيت، وبنيت، وبنيت، بكسرى الباء المختصرة، مثل الجزية والجزية، وصحيح فلان.

البنية، أي الغريزة. وبنيت الرجل: أعطيته بناءً أو شيئاً يبني به بيته^(١).
تعريف البنية: "الأصل اللغوي لمعنى البنية يعود إلى أن البناء والنون والياء من أصل واحد، وهو بناء الشيء بربط بعضه ببعض"^(٢)، ويرى محمد عزام أن هناك أصلاً مشتركاً في الاستعمال اللغوي لكلمة بنية بين اللغات الأوروبية واللغة العربية، حيث ذكر أن "مصطلح بنية مشتق من اللغات الأوروبية ذات الأصل اللاتيني... (بناء) أو الطريقة التي يتم بها تشييد المبنى، ومن ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في المبنى، وهذا المعنى ليس بعيداً عن أصل الكلمة في الاستخدام العربي القديم"^(٣).

ويسمى البناء "بناءً" من حيث إن البناء مرتبط بمكان لا ينتقل من مكان إلى آخر، والبناء هو إنشاء الشيء بحيث يتميز بالثبات ولا يتحول إلى أي شيء آخر، ويقصد بالبناء أيضاً المكونات التي يقوم عليها البيت، ومنها تم نقله إلى الأشكال السردية.^(٤)

ب- اصطلاحاً:

اختلف النقاد في تحديد مصطلح البنية؛ وذلك نظراً لمجموعة من الاختلافات الناتجة عن تظاهراته، وتجلياته في أشكال متنوعة: الدراسات والعلوم الأخرى .

وأضاف: «إنه يحمل، أولاً وقبل كل شيء، صفة النظام أو النظام، ويتكون من عناصر من شأنها أن تحدث تغييراً في أحدها ليحدث تغييراً في بقية العناصر الأخرى».^(٥)

وترى يمنى العيد أن "كلمة بنية تشير في حد ذاتها إلى المنهج البنيوي الذي يمثل الخطوة الأولى في تعريف البنية أو النظر إلى موضوع البحث كبنية، أي كموضوع مستقل". ولذلك فإن البنية، عند البنيويين، «تُصور خارج العمل الأدبي، ولا تتحقق في النص بطريقة ما، وليست مكشوفة لدرجة تتطلب من المحلل الهيكلي استكشافها».

ومما سبق نلاحظ مدى ارتباط الرواية بالبناء. تشبه الرواية بناء المنزل لأنها تقوم على مجموعة من الأبنية والمكونات المترابطة لتشكل بنيته الكاملة. وهذه البنية ضمنية، مخفية، غير مكشوفة، مما يتطلب من المحلل البنيوي اكتشافها وإبراز مضامينها.

أما المعنى التقليدي لكلمة بنية، بحسب جيرالد برينس، فهي تعني أن "البنية هي شبكة العلاقات التي تحدث بين المكونات العديدة للكل، وبين كل مكون على حدة والكل"^(١).

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، المجلد الرابع عشر، ص ٩٤.

(٢) ابن فارس. (١٩٧٩) مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ٣٠٢/٦.

(٣) عزام، محمد. (٢٠٠٣) تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد العرب، دمشق - سوريا، (د.ط)، ص ٢٥.

المرجع نفسه، ص ٢٥. (٤)

Structuralism and structures A ،Charles Earl Rickart (٥)

. Mathematical Perspective World Scientific London England 1995p . 12

ثانيا - مفهوم السرد (Narration)

أ- لغة:

السرد في اللغة: "التتابع" ^(٢)، إنه يشير إلى سلسلة من الأشياء العديدة المرتبطة ببعضها البعض. فالسرد اسم جامع للدرع، و ما أشبهها من الخلق ^(٣)

سرد : يسرد سَرَدَ الشيء : ثقبه . والجلد خرزته والدرع نسجها الحديث: أجاد سياقه. ويطلق السرد ^(٤) أيضا: على نسيج الدرع المحكمة (سرد السرد هو التتابع، إذا فالمعنى اللغوي للسرد هو التوالي و التتابع.

ب- اصطلاحا: يعد السرد جزءًا من علم السرد (Nar (ratologie) الذي يعرف على " أنه الدراسة المنهجية للحكي (Narrative) وقد ارتبط المفهوم في بدايته بالتحليل البنيوي للسرد، والذي هدف إلى الكشف عن أنماط السرد الأساسية، بجميع أنواع السرد ^(٥)

فالسرد هو: نقل الواقعة من شكلها الواقعي إلى شكلها اللغوي، أو هو: "الفعل السردى الإنتاجي، وهو: الطريقة التي تُروى بها القصة". عرف جيرارد جينيت السرد بأنه: العملية التي يؤدي بها الراوي أو الحكواتي (أو الراوي)، وينتج عنها النص السردى الذي يتضمن الخطاب اللفظي (أي الخطاب السردى) والقصة (أي المنطوقة)، وقد عرف محمد القاضي السرد بأنه: النشاط الذي يقوم به الراوي وهو يروي قصة ويصوغ الخطاب الذي ينقلها. وسماه "يونات" وهو فعل السرد نفسه ^(٦)المعتبر في نفسه.

ويعني: "استنتاج القواعد الداخلية للأنواع الأدبية، واستخراج الأنظمة التي تحكمها وتوجه بنياتها، وتحدد خصائصها وخصائصها" ^(٧)

(١) برنس، جيرالد. (٢٠٠٣) قاموس السرديات، ط١، ترجمة: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ص ١٩١.

(٢) المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط ٤٣، ٢٠٠٨م، حرف (السين)، مادة س.ر.د ، ص ٣٣٠.

(٣) أبو الحسن أحمد بن زكريا: معجم المقاييس في اللغة، تح شهاب الدين، أبو عمرو. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، دت، ص ٥١٥.

ابن منظور، لسان العرب، ص ٢٦٤. ^(٤)

(٥) السيد إمام: السرد الجديد وإشكالية المفهوم، مدخل إلى نظرية الحكي بالسرد، مؤتمر أدباء مصر، الدورة الثالثة والعشرون، مصر، محافظة مطروح، ٢٠٠٨، ص ٣٥.

برنس، جيرالد، قاموس السرديات، ص ١٩٢. ^(٦)

(٧) عبدالله إبراهيم ، موسوعة السرد العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨، ص

يُعرف مفهوم البنية السردية، في أحد تعريفاتها النقدية، بأنها "كيان مستقل من العلاقات الداخلية المتكونة على أساس يعتبر تدريجياً"^(١)، فإن هذا التعريف يمكنه أن يكشف عن عناصر العمل الأدبي كالرواية، ويستطيع من خلال ذلك المفهوم إدراك نظام العلاقات داخل النص الروائي بطريقة تقضي إلى تبيان خفايا العمل، وتبيان جمالياته الأسلوبية والسردية، وكذلك تحديد العناصر تلك الجماليات في ضوء الروابط التي تجعل من العمل الروائي عملاً شيقاً وممتعاً بطريقة تختلف اختلافاً تاماً عن سرد أحداث تاريخية يوردها المؤرخ مثلاً في نفس الحقبة التي تتناولها الرواية"^(٢)

والبنية السردية باعتبارها نظاماً من العلاقات لا بد أن تتصل بمفهوم الدلالة الذي نستطيع من خلاله إدراك الفوارق لتمثل المعنى داخل البنية.

فمفهوم البنية يقتضي بالضرورة علاقات مشتركة داخل العمل الأدبي "بحيث لا توجد عناصر حيادية بدون علاقات"^(٣)، ولهذا لا بد للبنية من محور دلالي يكون بمنزلة المركز الذي تفسر في ضوئه الفوارق بين العلاقات، وإقامة العلاقة المشتركة بين العناصر داخل النص الأدبي الروائي "

ولا بد من معرفة السمة المشتركة بينهما، أي المحور الدلالي الذي تقوم عليه العلاقة. بين (الأبيض) و (الأسود) تقوم العلاقة على المحور الدلالي (اللون) الذي يمثل القاسم المشترك بين العنصرين المتعارضين."^(٤)

ولإدراك دلالة البنية السردية في النص الروائي لا بد من التفريق بين مفهوم المتن الحكائي، وبين الحكائي "فالمتن السردية: هو مجموع الأحداث المرتبطة ببعضها والتي تشكل المادة الأولية للقصة. وأما البناء السردية: فهو خاص بنظام ظهور هذه الأحداث في الرواية نفسها. وبعبارة أوضح: يرتبط المتن السردية بالقصة كما يفترض أنها حدثت في الواقع، والمبنى السردية هو القصة نفسها. ولكن بالطريقة التي يتم تقديمها لنا على المستوى الفني"^(٥).

بيد أن قراءة النص الأدبي من زاوية البنية تقتضي في سياق آخر استنتاج مدلولات النص الجمالية، واستكشاف مضمونها من خلال التأمل في داخل علاقات العمل الأدبي، دون أي

(١) رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، د. ط، ٢٠٠٠ م، ص ١٩٧.

عبدالله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ص ٩. (٢)

(٣) المرجع نفسه، ص ١٩٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٩٧.

(٥) حميد الحمداني، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي - المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩١، ص

علاقة خارجية تتصل مثلاً بنشأة الكاتب أو الظروف الاجتماعية أو زمن الأحداث وما إلى ذلك من عناصر ذات علاقة بحقول العلوم الإنسانية الأخرى.

ولهذا فإن ما يهتم التحليل البنيوي "ليست مكونات السرد، بل العلاقات التي تنشأ من هذه المكونات"^(١)، وفي ضوء هذه الرؤية ستقوم دراستنا على تأمل البنى السردية المختلفة لرواية (قهوة سادة) كالبنية الرمزية، والبنية الأسلوبية، وبنية الزمن، عبر اختبار طبيعة العلاقات السردية التي تشكل نسيجاً محكماً للرواية، أي إن اعتمادنا على نصوص الرواية للدلالة على تبيان السمات التي تقوم عليها البنية السردية، والبنى التي تتفرع عنها سيكون بمنزلة المرجع الأساس في هذه الدراسة، لا يعني هذا بالطبع عدم الاستئناس بمراجع أخرى لإضاءة بعض جوانب الدراسة بقدر ما يعني أن منهج الدراسة يركز أساساً على تناول البنية السردية للرواية.

الفصل الثاني

بنية الشخصية والزمان والمكان

أن غرضنا في هذه الدراسة هو تبيان البنى السردية ومعرفة ماهيتها، وذلك لأنه لا يمكن تحليل أي عنصر بمعزل عن العناصر الأخرى، وأن تحليل النص القصصي ذاته لا يمكن أن يتبلور دون النظرة لا شمولية لنص "قهوة سادة" برمته، وتضافر أبنية السرد هو الذي يشكل فنية القصة ويمكن الكشف عن البنية السردية عند السيد حافظ في "قهوة سادة" من خلال تناول الأبنية السردية الآتية: بنية الشخصية، بنية الزمن، وبنية المكان.

أولاً: بنية الشخصية:

الشخصية عند النقاد تعرف بالقول " هي كل مشارك في أحداث القصة "سواء كان سلبياً أو إيجابياً. أما من يشارك في الحديث فهو لا ينتمي إلى الشخصية، بل هو جزء من الوصف. وهو عنصر، مثل كل العناصر في القصة، فالقصة هي مجموع الكلمات التي تصفها، وتصور أفعالها، وتنقل أفكارها وملاحظاتها، ويعرفها بعضهم بأنها "القناة التي يسافر الروائي من خلالها عبر واقع الحياة"^(٢). ولما لها من "أهمية كبرى في عالم القصة، وغالباً ما تعدّ عناصر القصة المهمة"^(٣)

فالشخصية في الرواية إما أن تكون شخصية رئيسة وإما ثانوية وتنقسم الشخصية في "قهوة سادة" تبعاً لطريقة عرضها إلى ثلاثة أقسام تختلف بحسب دورها، وهي إما شخصية رئيسة وإما فرعية.

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٨.

(٢) آسيا جربوي، سيميائية الشخصية الحكائية في رواية الذئب الأسود، حنا مينا، مجلة الخير، العدد، ٥ بسكرة، الجزائر، منشورات جامعة محمد خيضر، ٢٠١٠، د. ط، ص ٢٤٨.

(٣) Lynn Altenbernd and Leslie L.Lewis. A Hand Book for the study of Fiction the Macmillan Limited London –Macmillan Company New York Collier1966..

أ - الشخصيات الرئيسية:

تعد الشخصية الرئيسية إحدى الأدوات الأساسية في عملية القص^(١) وذلك لما لها من الأثر العظيم في بناء النص الروائي، وأهمية جوهرية في عالمه، فهو أحد العناصر المهمة جداً في بلورة التجربة السردية، وتشكيل بنائها.

١- "شخصية سهر":

سهر هي بطلنة هذه الرواية ، فهي رمز العشق وجماله.. عشقها كل أشخاص الرواية رجال ونساء.. ولها مع كل شخصية حكاية عشق جديدة " سهر " التي ترفرف روحها.. تحوم حول سواحل العالم.. و تريد أن تنطلق.. فوق السحب والبحار.. تريد أن تكون كل يوم في بلد.. ترى أن الحرية.. تمتد وتمتد إلى ما لا نهاية.. " سهر " قطر ندي يأخذك بين محطاته المتنوعة يسقيك فنجان قهوة سادة جعله الكاتب بتحاويجه وتحابيشه وسحر وعطر شخصياته لا يحتاج لشيء من السكر لأنه أحلى منه.

{ "سهر" اسم يعرفه الليل والبحر والشجر وأحلام الشباب والرجال والعجائز على أبواب الدكاكين والمحلات في الجبل في بلاد الشام }^(٢) .

التطور الدرامي لشخصية " سهر " باليوم والشهر والسنة تتابع ينمو مع نمو الشخصية سنا وعمرها ومكانا مما يسهل لك صعودك مع الحدث واستمتاعك برشقات فنجان قهوته السادة.. بتحويجاتها الصوفية الرائعة فما بين اكتشافك رمزية بلوغها - مرحلة الأنوثة - و نمو خط شخصيتها مع أحداث الرواية محطات تجمع الناس وتفرقهم.. فيهم من يصعد ومن ينزل.

" سهر " هي الشخصية الرائعة الشفافة تتميز بالإباء واحترام الذات يعشقها كل من يقع في مجال مغناطيسيتها يعشقها الآباء والأبناء عشقها المختار ولما أراد أن يستميلها بثمن بخس بالنسبة له؛ قصور وضيعات وعزّ وجاه: { " نظرت له نظرة احتقار وبصقت علي الارض ومشت.. " }^(٣)

٢- شخصية "شهر زاد":

"شهرزاد" العرافة التي أحببت " سهر " لأنها تذكرها بشبابها وجمالها ولأنها تنبأت لها بسفرها إلى بلاد النفط وأنها ستتزوج من ثري وتفتح لها المدن ألف نافذة نور والتي كانت تهجم علي أي رجل يطلب يد " سهر " لتقرأ له كفه محذرة إياه بأن " سهر " عشيقة القمر ومن يتزوجها يصاب بالعمى وكان الكثير يصدقونها ويهربون.

(1) Scholes Robert and Kellogg Robert. The Nature of Narrative Oxford University Press 1968.

(٢) السيد حافظ ، رواية قهوة سادة ، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، مج ١، ط ١، ٢٠١٧م، ص ١٥.

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٠٢.

" شهرزاد " التي أنهت الجزء الأول من الرواية لتبوح بسر عطر العرق الطبيعي لـ " سهر " قائلة لها {إن روحك هي التي تعطر جسدك يا صغيرتي الأرواح تتناسخ وهناك تقمص الأرواح} .
٣- شخصية "كاظم":

كاظم صاحب العشق الخفي أو العاشق الهارب هذه الشخصية عدة دوائر متقاطعة.. تتفاعل مع أحداث الرواية؛ الوسامة.. العشق الخفي.. سجين المهنة دائما يحاول الهروب لكنه متردد.

" كاظم " معلم اللغة العربية في مدرسه " سهر " المواطن العربي المعارض للنظام الذي لا يستطيع ان يفتح فمه إلا عند طبيب الاسنان والذي كان يحلم بأن يكون سياسيا فصار معلما لنتمتع بالمفارقة الرائعة في ازدواجية هذه الشخصية بين المعلم والسياسي.

" كاظم " اشقر وسيم ذو ثلاثين عاما، سجين بين فصول الطلاب وعقول التلاميذ وبرغم ثقافته وقرأته لفرويد وكولن ولسون : الجنس هو أحد أقوى الرغبات التي يجربها الإنسان يغلق "كاظم" الكتب وينام يحلم بالجنس والباء والنساء و" سهر " هنا تتجلي ملامح شخصية العاشق الذي كما يدور في فلك عشقه الخاص يدور أيضا في فلك الشخصية المحورية " سهر".

" كاظم " الذي حلم أن يعيش في مصر وتكون سهر معه ، " فكاظم " يعيش سهر في صمت وينسي نفسه، ونراه يقول: " الذي يهوي " سهر " يقف أمامها أحيانا وينظر نظرة ربما تمتد عمرا أو زمنا أو ما لا نهاية.. كل الأزمنة باطلة ،لأن زمن العشق الدقيقة فيه بألف عام مما تعدون.. ويبحر في عينها إلي حدود اللامرئي... " { ^(١).

٤- شخصية "فتحي رضوان":

الإنسان.. حلم تحرير الأمة من التخلف. وثورة المطر... الذي ولد في اليوم نفسه الذي استشهد فيه في فلسطين البطل أحمد عبد العزيز قائد قوات مصرفي حرب ١٩٤٨ الأحد ٢٣ أغسطس ١٩٤٨ وأشعر أن لهذا التاريخ دلالاته عند الكاتب بدوائر شخصيته المتميزة الخارجية والداخلية والنفسية، مصري الملامح، عربي التفكير متناقض الشخصية وإن كان تناقضه إيجابي فهو لا يحب الرياضيات والمواد العلمية لكنه يملك رغبة دفيئة في ان يفهم سر الذرة يكره النحو لكنه يحلم أن يلتحق بقسم الحضارة والآثار بسيط الحال يحلم أن يجوب العالم كل العالم، عالمي الإحساس بالجمال دائرة هذه الشخصية أكبر دوائر الرواية إذ تضم معها العديد من الدوائر لتكون مجرة قائمة بذاتها هنا يأخذك الكاتب إلي مسرحه ويقوم بدور المخرج المسرحي حيث يثبت دائرة الضوء علي البطل فتحي رضوان وبعده الزوم المكبرة يقرب لك مراحل نمو الشخصية دائرة فدائرة وكلما اقتربت منه دائرة ازداد حجم شخصية فتحي رضوان وازداد بريقها وسطوعها ويزداد انبهارك بها.. وإعجابك بها رغم ما بها من تناقض يبرز المفارقة ويوضحها بإبداع سردي يحمل

(١) المرجع السابق ، ص ٨٣.

لك قطوفا من معلومات عامة جاءت في سياق الأحداث في أماكنها وتواريخها بأرقامها وتفاصيلها ويصعد بك دراميا في أحداثه المتلاحقة ليسلط على هذه الشخصية بقعة الضوء الكبيرة الكاشفة لتجد شخصية " فتحي رضوان " الملحمية بطل الفتوحات والأساطير كان نبتة صغيرة زرعته بيدك وتابعتها يوما بيوم .. وحدثا بحدث حتى صارت زهرة مكتملة تشع العطر والسحر وتملأ أرجاء المكان حركة وأحداثا فتحي رضوان نموذج لملايين الشباب العربي والمصري الضائع التي تطير أحلامهم في السماء كل صباح وترحل في المساء مع السفن المهاجرة إلى أمريكا والغرب ضحية الزمان والمكان فحين يسלט دائرة بداية البلوغ ليشعرك بفزع فتحي رضوان عند بلوغه وهو يجري نحو جده {صاح بفزع جدي ظهرت شعرتان عند قضيبتي ضحك الجد وقال لقد بلغت وكبرت صرت رجلا"}^(١)

ب - الشخصيات الفرعية :

إن شخصيات السيد حافظ جميعها شخصيات محورية نجوم قائمة بذاتها.. تدور كل شخصية في فلكها وتدور كلها مجتمعة في مجرة واحدة هي قهوة سادة التي تتكون من كل هذه النجوم والكواكب والأقمار.

١. شخصية "وردة":

" وردة " من أجمل بنات الجبل ابنة المختار " بسام " وأخت " راغب " وزميلة " سهر " في الفصل وفي المدرسة وبرغم زمالتها ل " سهر " إلا إنها لا تحبها ولكنها تحب خالتها "جمال " الجميلة رمزاً للتحضر والرقي التي تسكن في دمشق ولها بيت في الجبل.. تفهم الحياة دون تعقيد.. تحب السفر والرحلات.. تحب الرقص.. لذلك هي المثل الأعلى لوردة يخاف أن يقترب منها الشباب لأن أباه المختار مع أنها إحدى أشهر الجميلات وكأن الكاتب أراد أن ينبهنا بأن الجاه أو الجمال أحيانا ما يكون نقمة أو سببا في ابتعاد الرجال حتى وإن كانوا مناسبين وتتجلي المفارقة أيضا بين سمات شخصية وردة وأمها فأما تزوجها المختار " بسام " رغما عن أنف أبيها لم تعرف الحب.. تسمع عنه من النساء فقط ويحمر وجهها خجلا عند الحديث عنه فهو بالنسبة لها من المحرمات.. وعندما تشاهد في التلفزيون فيلما أو مشهدا عاطفيا.. تشعر بغياب عقلها وجمود قلبها.. وأنها خطفت إلي سيبيريا وجمدت هناك.^(٢)

١. شخصية "سلمى أم شهر":

من الطبيعي أن تكون الشخصية الغير مؤثرة في الأحداث ولكنها مؤثرة بأبومتها فهي غير طاغية وغير مؤثرة كابنتها لكنها تمثل روح الأمومة بكل أبعادها "سلمى أم شهر" تدور في فلك

(١) رواية قهوة سادة ، ص ٣٤.

المرجع نفسه، ص ٥٥. (٢)

العرافة " شهرزاد " والتي اقتصر دورها علي أنها أم سهر.. وعلي إطلاق البخور في البيت لمنع الحاسدين لـ"سهر" ويتجلى التوازي للشخصيتين بين شخصية " سهر " وأمها في تواز اتفاق ، من حسن الجمال والخلق والروح الطيبة ومن التأثر بالعرافة "شهرزاد" وتأثير العرافة " شهرزاد "علي الأم وابنتها " سهر " .^(١)

٢. شخصية "سالم أبو سهر":

"سالم " أبو " سهر "شخصية المحارب الثابت الجأش الذي لا يبيع ابنته بقبص فاكهة الذي رفض إلا أن يحارب للدفاع عن وطنه . " سالم " " الأب الذي يحمل من الحرب إصابة في قدمه اليمنى.. ويقول إنها سوف تكون تأشيرة دخوله للجنة يوم الحساب.. وسوف يدخله الله الجنة مع الشهداء والصدّيقين والعاشقين.. لأنه يؤمن بأن العشق ابتلاء.. وأنه أحب سلمي ام " سهر "ودفع الثمن غاليا هرب بها ذات يوم في جوف ليل كافر بالبشر.. اغتصب فيه الأعداء الفرنسيون نساء القرية.. وهرب هو بسلمي.."^(٢)

ثانيا: بنية الزمن:

يمثل الزمن عنصراً أساساً في الرواية، وهو ضروري لإنجازها، وفي ضوئها تنتظم مادة السرد، سواء اتخذت شكل التعاقب أو التداخل، بحكم أنها تشكل بنية قائمة بذاتها ضمن العمل الروائي، فضلا عن أنها قد تم تحول من موضوع للرواية، وحتى إلى شخصية رئيسية فيها. ويؤكد أحد النقاد هذا المعنى بقوله: "منذ أعمال بروس و كافكا، أصبح الزمن هو الشخصية الرئيسية في الرواية المعاصرة بفضل استخدام العودة إلى الماضي، ومقاطعة التسلسل الزمني، وغيرها من التقنيات الزمنية التي كان لها تأثير بارز". مكانه في تشكيل السرد وبناء معماره.^(٣)

وإنّ العلاقة بين بنية الزمن، وبنية الشخصية قوية ومتراصة إذ يقيم فعل السرد علاقات مترابطة مع القصة من ناحية الزمن والشخص من الناحية الزمنية نتساءل حول الرابط التسلسلي الذي يقيم بين فعل السرد والأحداث المنقولة. كما "أنّ البنيوتين مؤمنون بأن الزمن شيء مجرد يجسد في الرواية بواسطة سرد الأحداث، وتراهم يعالجون الزمن الروائي في أثناء حديثهم عن "السرد وقد عد أحد النقاد الزمن شخصية رئيسة في الرواية فقال إنّه : " الشخصية الرئيسية في الرواية المعاصرة"^(٤)

المرجع السابق، ص ٦٧. ^(١)

رواية قهوة سادة ، ص ٨١. ^(٢)

هانز ميرهوف، الزمن في الأدب، ترجمة: سعد رزوق، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٢، ص ١. ^(٣)

مها حسن القصرأوي، الزمن في الرواية العربية، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٣٦. ^(٤)

وسوف أتناول بنية الزمن السردي في هذه الرواية في المفارقة الزمنية ودلالاتها.

أولاً: المفارقة الزمنية ودلالاتها الفنية:

تعرف المفارقة بأنها " إما أنه استرجاع لأحداث سابقة أو هو توقع لأحداث لاحقة"^(١)، إذا أساس المفارقة الزمنية هو الإسترجاع لأحداث ماضية والاستباق لأحداث لاحقة "فالاسترجاع يربط الحاضر بالماضي من خلال الاستدراك والإلحاق"^(٢) وسنقف على تقنية الاسترجاع أولاً ثم نخرج على تقنية الاستباق ثانياً.

١- تقنية الاسترجاع:

إن تقنية الاسترجاع واحدة من أهم تقنيات المفارقة السردية، فهي تقوم على الإتيان بمشهد من الماضي وسرده في الحاضر داخل الرواية أو هو : " سرد حدث في مرحلة ما من الرواية بعد سرد الأحداث اللاحقة لذلك الحدث " ^(٣).

وتتضح تقنية الاسترجاع في رواية "قهوة سادة" حيث استطاع الكاتب استرجاع الماضي، يقول سالم - والد سهر - : " كان الماضي حياً .. كفاح ونضال وتحير ... الآن الأمور ليست هكذا أعطوا كلاً منا نيشاناً ووساماً وشهادة تقدير... ولا شيء حصل .. الجنرالات حصلوا على كل شيء المناصب وأراض ومال .. وأصبحت المقاومة في خبر كان " ^(٤).

فهذا ما يحذر منه الكاتب ومن مصير الثورة، لاسيما وأنّ الرواية كتبت بعد ثورة يناير ٢٠١١ ، فهو يتكلم بلسان البصير للأمور كي لا تؤول الثورة وحال الثوار إلى مثل من كان قبلهم .

للعوي السردية دور في تنشيط الذاكرة السردية وبث اللحظة المناسبة للاسترجاع، وهذه اللحظة التي ينادي من خلالها الراوي، وعليه أشار الراوي إلى العودة إلى الماضي وإسقاطها على الحاضر، بينما تظهر الحالة الفريدة للبناء الحقيقي فيما أراده إخناتون من تغيير العبادة في مصر " كان إخناتون أول قائد فعلي في التاريخ لم يهتم برأي الشعب في العبادة، ووقف ضد الرأي العام، ومن سوء حظ إخناتون أن يفرض عقيدته في بلد لم يكن فيه رجل يستطيع نسيان الماضي غير إخناتون نفسه.."^(٥)، ففي الوقت الذي ينقض ما قبله بتحطيمه تماثيل الآلهة القديمة في الليل، ليحكم غزله ببناء المعابد الجديدة لأتون، وتراتيله وأناشيده لتمجيد الإله الجديد

^(١) محمد أبو غرة، تحليل النص السردية: تقنيات ومفاهيم، دار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٦، ص ٨٨.

المرجع نفسه، ٨٩. ^(٢)

^(٣) أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

عمان، ط١، ٢٠٠٤، ص ٣٣.

^(٤) رواية قهوة سادة ، ص ١٥٣.

^(٥) المرجع نفسه ، ص ٣٣٣.

ودعوته الرعية لاتباعه في مبادئه ثم إنشاء أكثر من مدينة تحمل الاسم ذاته " أخيتاتون " أي مدينة آتون.

٢- تقنية الاستباق:

الاستباق هو واحد من تقنيات المفارقة السردية المهمة في الرواية إذ يقوم الاستباق على ذكر المشهد الآتي " هو الانتقال إلى الزمن المستقبل " ، ويقصد بها كل حركة سردية تقوم على سرد حدث لاحق أو ذكره مسبقاً^(١)

ظهرت تقنية الاستباق في رواية "قهوة سادة" عدة مرات، وإذا نظرنا إلى رواية قهوة سادة، قهوة زيادة نجد أن السيد حافظ قد مزج الماضي والحاضر والمستقبل في لوحة واحدة، موظفاً العديد من الأساليب الفنية في الكتابة، مثل أساليب الاستباق والاسترجاع، والانتقال بين العصور بسلاسة وانسيابية، والتغلب على العقبات الزمكانية، حيث يتم استعمال جميع الشخصيات كدمى متحركة على المسرح لأداء الدور المناط بهم بهدوء ودون فقدان روح التشويق والإثارة. وتظهر تقنية الاستباق في قوله :

"نقرأ حب الوطن أكبر خطيئة لأنه كائن هلامي يسكننا ونسكنه رغما عنا.. لو علمنا أن الله يرث الأرض وما عليها لعشقنا الله فقط"^(٢)

تظهر الاستباق في مقاطع أخرى من الرواية فيها هو يخاطب فتحي رضوان صاحبه حسن، أحد أعضاء اتحاد الطلبة: «لم أعد أعرف علي ماذا سيحدث في مصر، ولا في الوطن العربي... حتى الغرب خدعنا، وأمريكا... هل لأننا نستحق أن نخدع... أفكر في الرحيل من مصر"^(٣)

وتظهر الاستباق أيضاً في شخصية شهرزاد ظلُّ سهر فهي تتحول إلى نبيه وكاهنة وعرافة، تستشرف مستقبلها وتحمل لها البشارة والوعد لترحال، بحثاً عن الفحل وعن الذهب والصعود الطبقي. فشهر زاد ظلُّ لسهر، تستشرف لها المستقبل وتساعد على تشكيل موقف من العالم. فلماً تقدّم لها أحد أثرياء القرية طالبا يدها، تدخلت العرافة وقالت لوالد سهر: "لا.. ابنتك ستسافر إلى بلاد النفط.....، تتزوج من رجل ثري، وتفتح لها المدن ألف فذة نور.. وستمرغ في الذهب. الأب ينتظر....، كما قالت العرافة العجوز"^(٤). نطق العرافة بنبوءها بكل وثوق، ودون ارتياب، فهي تقرأ من كتاب الغيب، أو أن قوة سحرية تجلب لها النبوءات من تحت العرش وطيات الغيب، فنجد هنا استباقاً في الحوار الذي دار بين العرافة ووالد سهر.

(١) نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، د. ط، ٢٠٠١ م، ص ١٩٦.

(٢) رواية قهوة سادة ، ص ٤٤.

(٣) المرجع نفسه، ٢٦٨-٢٦٩.

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٧.

ثالثا : بنية المكان :

للمكان أهمية كبيرة في بنية السرد، فهو يشكل مكوناً محورياً بل عنصراً حكاياً قائماً بذاته " إنَّ المكان الروائي يعد بمثابة الخلفية الضرورية التي يصعب تخيل وقوع الأحداث بدونه، ويرتبط إدراك المكان بالجانب الحسي، وقد يقوم الكاتب بإسقاط الإدراك النفسي على أشياء ملموسة لتوضيحها والتعبير عنها"^(١).

"فالمكان يعد العنصر الأساس في تشكيل بنية الشخصيات؛ والكشف عنها من خلال علاقتي التأثير والتأثر وبين المكان وكذلك يرتبط الزمان بالمكان ارتباطاً شديداً لأنَّ فإنه لا مناص عنه"^(٢).

"الأماكن مهما كانت صغيرة أو كبيرة، مهما كانت واسعة أو ضيقة، مهما كانت قليلة أو كثيرة، تبقى في الرواية الجيدة مجموعة من المفاتيح الكبيرة والصغيرة التي تساعد على فتح جزء كبير من خاتمة النص الروائي."^(٣).

عندما تدخل الأماكن إلى العالم الخيالي، فإنها تتحول إلى رموز لها معانيها الخاصة المغايرة لما هو موجود خارج النص^(٤).

وبناء على ما سبق يرى بعض الباحثين أن دراسة المكان الروائي وتتبع مضامينه يمكن أن يكشف عن إيديولوجية معينة أراد الكاتب أن يصل بها إلى الجمهور.^(٥)

فالروائي عندما ينجح في بعث الحياة في عنصر المكان في روايته، قد ينجح في تحقيق عالمية عمله! ويحقق هذه العالمية عندما لا يكون مجرد مسجل لما تراه عينه، أو مجرد موثق لما يتخيله عقله، بل عندما يعطي ما تراه العين وما يتخيله العقل دلالات عميقة، عندما يتمكن من جعل هذا المكان رمزاً مليئاً بالدلالات والرؤى، عندما ينجح في توظيف لغة الوصف. وتوظيف الغزير، الذي من خلاله يشرف على الموصوف، في إيصال صوته ورؤيته إلى المتلقي.

ولقد وصف لنا السيد حافظ في رواية قهوة سادة أماكن كثيرة الأنواع، كانت هذه الأماكن مفتوحة وواسعة وأماكن مغلقة وضيقة. أما فيما يتعلق لـ "الأماكن المغلقة":

(١) حميد الحمداني، بنية النص السردية، ص ٧٨.

(٢) الشريف جبيلة، مكونات الخطاب السردية، مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديث أريد، ط ١، ٢٠١٤، ص ٣٧.

(٣) شاکر النابلسي، (جماليات المكان في الرواية العربية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م، ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٤) شارل كريفل، دراسة (المكان في النص) ضمن كتاب (الفضاء الروائي)، ص ٧٣.

(٥) يوري آيزنز فايك، دراسة (الفضاء المتخيل والإيديولوجيا)، ضمن كتاب (الفضاء الروائي)، ص ١٣٩.

١- الحمام:

وأشار الرواي إلى الحمام في رواية "قهوة سادة، ويستعين به الكاتب لإظهار شهوة من نوع آخر وهي السلطة وفساد الحكام ، يقول البطل - فتحي رضوان:

"دعا ابن عباد القاضي ... كل حكام الإمارات في الأندلس ... للغداء ثم الاستحمام في الحمام الجديد الفاخر .. وشرب القهوة السادة هناك .. وأثناء الاستحمام أغلق عليهم الباب .. بالطوب والخشب وجعلها مقبرة جماعية"^(١)

فهذا دليل على تقشّي الدكتاتورية واستغلال المكر والدهاء وتحليل القتل للانفراد بالسلطة - أكثر الشهوات إغراءً للإنسان - ثم يربطها بتوثيق تاريخي لمواقف مشابهة في أزمان مختلفة.

٢- السجن:

ومن ثمّ تتضح مظاهر ضد الاستبداد والاحتكار مع تحمل تبعات الوقوف في وجه من بأيديهم السلطة ، فمصير الثوّار في الغالب إما العذاب والسجن مثل " كاظم " عند اتهامه بالشيوعية وإما القتل كما يقول فتحي عن الأمير فخر الدين الشامي المستنير: " يا ويلك يا فتى هكذا يموت الثوار بلا صوت "^(٢)، أو مصيرهم في طيات النسيان ولا يبقى منهم سوى تذكّار .

أما الأماكن المفتوحة:

١- الشارع :

شارع محسن المجاور لشارع الإسكندراني بالإسكندرية فيه قصر أميرة تركية من العائلة العلوية { " هجم العجر علي شارع محسن في قافلة.. بنوا علي ترعة المحمودية بيوتا من الصفيح والخشب.. وعملوا في التجارة وفي السحر.. والحواة..والجزارة.. والحدادة.. وزحفوا إلي سارع محسن " }^(٣) ص ١٤٧

وكان العجر يتوددون للحاج فتحي لأن له بيتا من طوب وأسمنت وليس صفيحا الجبل والشام وتتجلى فيها روح الجبل وانعكاساته علي كل من الشخصيات من خلال سرد ممتع.. يجرفك إلى مجرى أحداث الرواية وأنت مستمتعا بغوصك فيها المقارنة بين المدينة و القرية { " المدينة عاهرة بلا أخلاق.. المدينة كافرة.. والقرية ليست لها شهادة في بلاد الدنيا القرية دائما منسية من خريطة السياسيين والمسؤولين في العاصمة.. العاصمة أم عاهرة للقرى في كل بلاد الدنيا.. تمارس كل شيء وتفعل كل شيء وتعيش في رغد.. تاركة سكانها للضياع.. هكذا عواصم المدن.. المدينة تدوس أهل الريف بالأحذية المدينة تغازل خيال الفقراء فيذهب تجارها إلى القرى يشترون العنب والتفاح والزيتون.. والحقول مفتوحة الساقين يمارس الجشع الفحشاء فيها.. بلا

(١) رواية قهوة سادة ، ص ٧٧.

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٠.

(٣) رواية قهوة سادة ، ص ١٤٧.

خجل.. يستباح الفلاح ويأخذ التجار أعداء الله المحاصيل بأقل الأسعار في عربات ضخمة للمدن لتباع بمئتي ضعف السعر"^(١).

ويظهر "الشارع" في رواية فتحي رضوان منتقدا أوضاع مصر وتاريخها مثل قوله: "في القاهرة في حي الزيتون .. شارع باسم طومان باي البطل الذي قاوم الاحتلال العثماني، والشارع المقابل له باسم سليم الأول العثماني .."^(٢).

٢- مصر:

وأشار الراوي إلى "مصر" في رواية "قهوة سادة"، كان يقول لنفرتيتي زوجته { الكهنة يدعون إلى آلهة عدة في كل مكان.. شأهدى مصر الان انظرى إلى ما يكتب الادباء.. انظرى هذه البردية..ماذا يكتب هذا الاديب..يقرأ ما فى البردية كل شيء فى مصر يقبل الرشوة إلا الله لأنه عادل و نزيه.. " }

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة التي أقر أنه لم تسير بالشكل المشتهى على تيمات الرواية ذات الخصوبة العالية بسبب تعقيداتها الجمالية والموضوعاتية، أرى أنه من الضروري تركيز نتائج الدراسة المتوصل إليها بشكل موجز ودقيق التحديد، ومن خلال الخاتمة سأعرض أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال النقاط الآتية:

١. تمتاز رواية "قهوة سادة" بالدقة في التصميم والبناء، لا سيما في طريقة السرد وبناء شخصياتها.
٢. استطاع السيد حافظ أن يغوص في أعماق النفس البشرية لشخصيات روايته واستخراج مكنوناتها للقارئ.
٣. اعتمد السيد حافظ في سرده لروايته "قهوة سادة" على تقنية الأصوات المتعددة، وتقنية السرد التبادلي، وعلى توازي خطوط السرد وتوازي مساراته وتقاطع مداراته.
٤. تعتمد الصياغة السردية لرواية "قهوة سادة" على تشكيل أبعاد وجوانب عدة للرؤية الفنية للنص، معتمداً في تحقيق ذلك على العديد من تقنيات السرد التي عملت على توصيل القضية التي تتناولها الرواية.
٥. استطاع السيد حافظ أن يقيم بناءً سردياً قوياً وجيداً لروايته.
٦. اعتمد السيد حافظ على النسق الزمني التصاعدي في رواياته، وذلك يرجع سببه إلى ميل الروائي إلى تبني حالة من التوازن المثالي في السرديات السردية التقليدية.

(١) رواية قهوة سادة ، ص ٨٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٠.

٧. استطاع السيد حافظ تقليل الزمن لتسريع حركة السرد هو أسلوب يوظفه الروائي لتحقيق غرض جمالي، مثل الإشارة إلى غربة الشخصيات في بعض الأحيان أو تلخيص الأحداث الهامشية لضمان استمرارية السرد وعدم انقطاعه.

المصادر والمراجع:

١. برنس، جيرالد. قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٢. حميد الحمداني- بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي- المركز الثقافي العربي بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
٣. أبو الحسن أحمد بن زكريا: معجم المقاييس في اللغة، تح شهاب الدين، أبو عمرو. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، بدون طبعة، بدون تاريخ.
٤. السيد إمام، السرد الجديد وإشكالية المفهوم، مدخل إلى نظرية الحكى بالسر، مؤثر أدباء مصر، الدورة الثالثة والعشرون، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٥. السيد حافظ، قهوة سادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
٦. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٧. شارل كريفل، دراسة المكان في النص ضمن كتاب الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، بدون طبعة، ٢٠٠٢م.
٨. شاكرو النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٩. الشريف جبيلة، مكونات الخطاب السردى، مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديث أريد، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
١٠. عزام، محمد. تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد العرب، دمشق- سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
١١. عبدالله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
١٢. ابن فارس. مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، بدون طبعة، دار الفكر، ١٩٧٩م.
١٣. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م.
١٣. ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، المجلد الرابع عشر، ٢٠٠٥م.

١٤. مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
١٥. محمد أبوغرة، تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، دار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م.
١٦. أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.
١٧. نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، بدون طبعة، ٢٠٠١ م.
١٨. هانز ميرهوف، الزمن في الأدب، ترجمة: سعد رزوق، مؤسسة سجل العرب، بدون طبعة، القاهرة، ١٩٧٢.
١٩. آسيا جريوي، سيميائية الشخصية الحكائية في رواية الذئب الأسود، حنا مينا، مجلة الخير، الجزائر، منشورات جامعة محمد خيضر، ع ٥، ٢٠١٠ م.

20 Structuralism and structures A Mathematical Perspective World Scientific Londo England 1995

21 The Nature of Narrative Scholes Robert and Kellogg Robert. T .Oxford University Press 1968

22 Lynn Altenbernd and Leslie L. Lewis. A Hand Book for the study of Macmillan Limited -Fiction the Macmillan Company New York Collier London 1966..